عشاق الحياة

تمثيلية في فصل واحد

بقلم ابو العيد دودو

« مهداة الى عثمان سعدى وسعد الله »

تقع الحادثة في معسكر للجيش على بعد اميال من مدينة « بجايـــة » .

الوقت نهار . الساعة التاسعة . يرى قائـــد الفرقـة مستلقيا على ظهره في الخيمة وعيناه مغمضتان استجابة لافكـار تلســع رأسه .

القائد : « يحدث نفسه » انهم يفنون حياتنا ببطء ، هؤلاء الاشقياء . لقد امتصصنا دماءهم ولكننا في عملية الامتصاص نعطي اكثر ممـــا نأخذ . يجب ان نضع حدا لاستهتارهم وعصيانهم .

« يثب واقفا ويصفق بيديه . يدخل احد الجنود » .

الجنـــدي : ســـيدي !

القائد : أين وضعتم الســـبايا ؟

الجندي : انهن هناك في العـراء .

القائد : ايت بهن الى هنا حالا !

الجندي : امرك يا ســـيدي . « يخرج »

القائد : « وحده » هذا جنون .. ارهاق .. نحاول ان نفنيهم فتفنى اعصابنا قبل ذلك . « يتقدم نحو الباب في عصبية ويقف خارج الخيمة » يا لهم من جنس قذر !

« يقبل الجندي يرافقه ثلاثة اخرون يدفعون امامهم خمس نساء ثلاث منهن حبالى يتبعهن صبيان »

الجندي : ها هن يا ســـيدي .

القائد : « متأملا اياهن » هه .. زوجات الثوار بغايا ثائرات ! « يقترب من احداهن » .. انت قولي .. اخبريني اين ذهب زوجك ؟ « تسكت » تكلمي ! أجيبي يا شقية !

الجندي الثاني : ليسمح لي سيدي ، أظن انها لا تفهمك ؟..

القائد : أبدا .. انها تتجاهل فقط . انهم يحقدون علينا . يحقدون على كل شيء يخصنا . ألم تر كيف امتنعوا عن الذهاب الى مدارسنا؟ إنهم لا يريدون ان يتعلموا لغتنا .. لغة الحياة .

الجندي الرابع : ينبغي ان نستأصل هذا الحقد من اعماقهم وذلك عن طريق ابادتهم .

القائد : سنعلمهم كيف يحقدون على انفسهم لا علينا . فالحيـاة تستنكف ان تحل في اجسادهم الموبوءة ، هؤلاء العصاة المردة . « يخاطب المرأة » قولي .. اين ذهب زوجك او اخوك او عمك ؟ أيـــن ذهبوا ؟ قولي ألا تعرفين عنهم شيئا ؟ تكلمي . « لا تجيب » خذي « يصفعها » ستجيبين رغما عنك . « تنظر اليه بعينين تقدحـان شررا » لا تنظري الي هكذا يا بغي . ان عينيك تثيران ذعري . « للجندي » ريمون ! أغلق هاتين العينين . انهما شعلة تحرق اعصابي . لست أطيق النظر اليهما .

« يمسكها الجندي ويفقأ عينيها . يغرق وجهها في الدماء » .

الصبي : « مرتميا على الجندي » يا جبـان ! أتفقأ عيني امي . انكم لا تفدون رجالا الا معنا نحن الضعاف . تف يا وحوش البشر .

القائد : آه يا ثائري الصغير . ان لك انت الاخر منطقا واضحا . منطق الارهاب . كنت اود ان استبقيك ، ولكنك تستعجل نهايتك على ما يظهر « يخرج المسدس ويطلق عليه ثلاث طلقات . يســـقط الطفل في حضن امه العمياء فتحضنه في صمت » .

الجندي الثالث : لقد نسوا يا سيدي احترام أسيادهم فينبغي اعادة الاحترام الى قلوبهم .

القائد : « يخاطب امرأة اخرى » وانت ؟ انك شهية ! لك نهدان ريفيـان كبيران . اخبريني بحق جمالك الفاتن أين ذهب زوجك ؟

المرأة : « متعجبة » أتسألني عن زوجي ؟ انه هناك .. عاليا جدا .

القائد : أين ؟ ألا تستطيعين ان تصفي لي المكان ؟ قولي ولسوف أجازيك.

المرأة : « ساخرة » تجازيني ؟ أي نوع من المجازاة يا ترى ؟!

القائد : سأعيدك الى بيتك وأجعل لك مرتبا شهريا تعيشـين منه انت وصغيرك المنتظر .

المرأة : حسنا . ولكن من قال لك اني أريد العودة الى بيتي ؟ بل مـن أخبرك بأني ارغب في العيش تحت حمايتكم ؟ ان اللحاق بزوجي احب الي من العيش في ارض تطأها اقدامكم . أضف الى ذلـك اننا قد ألفنـا كل شيء .

القائد : لقد ألفتم كل شيء . وتعلمتم أشياء كثيرة . الا ان سلاحنـــا سينسيكم كل ما تعلمتموه . سيجعلكم تنسون انفسكم فـــلا تعرفون أحياء انتم او أموات .

المرأة : تستطيعون ان تفعلوا بنا ما تشاؤون . ولكنكم لن تطفئوا الشرارة التي انطلقت من اعماقنا لاحراقكم .

القائد : عظيم يا سيدتي . ان فوق لسانك « احمد » جديدا . انكـم تتنفخون امامنا كالقطط الماجنة ثم لا تنتجون شيئا على الاطلاق. لقد خلت حياتكم من كل امل أو طموح وستظل انوارنا تنعكس عليكم الى الابد . لقد سكتم طويلا وحين نطقتم ملأتم آذاننـــا

صراخا وعويلا . ولم يبق لنا الا ان نريكم الطريق الى الخمول السرمدي .

المرأة : لقد سول لكم غباؤكم ان تحكموا علينا بالموت . في حين اننا كنا فقط نبحث عن الوقود وما دام الوقود بين ايدينا فاننا لن نخرس حتى نطهر ارضنا من قذاراتكم .

القائد : « مغتاظا » بل ستخرسين يا بغي حين أبعج هذا البطن الكبير .

المرأة : لن نخرس حتى تلهبكم سياط ثورتنا فتستسلموا صاغرين ... ستفنوننا ولكننا سنتخذ الفناء طريقا الى الحياة . اننا نرتقي صعدا الى أعلى . وانتم تنزلون الى أسفل .. الى الحضيض .

القائد : « فاقدا صوابه » هكذا اذن ! « للجنود » هذا الصوت اسكتوه .. اسكتوه فلست أطيق سماعه . « يتقدم اليها جنديان » ويبقران بطنها في وحشية . فتقع ارضا . يتدحرج الجنين فوق التراب. يوجه الخطاب الى الباقيات » هكذا سيكون مصيركن ان لم تعترفن بمكمن ازواجكن .

الجندي الاول : « متعجبا » سيدي انظر ! ان الجنين يتحرك .

القائد : ماذا ؟ ماذا تقول ؟ اقتله قبل ان يهتف بالحرية . لقد اصبحوا يطالبون بالحرية حتى في أرحام امهاتهم !

الجندي الاول : « ملتقطا الجنين برأس الحربة » .. ستنال حريتك يا صغيري .. ستنالها عبر لعلعات رصاصنا .

القائد : لم لا تبكين .. لا تولولن ؟ يظهر ان الرعب الذي نثرناه في أعماقكن لم يثمر . اننا نحب ان نقتلكم وانتم تتضرعون الينا ... تقبلون أقدامنا ..

احداهن : اننا لم نعد نخافكم . وكان الاجدر بك ان تسألنا ان نفرح ، فنحن ندفع ثمن حريتنا وخلودنا .

القائد : « مشدوها » ان منطقكن متشابه جدا .. من علمكن هذا الكلام ؟ والآن ألا تردن ان تعترفن ؟ « يتناول الصبي الآخر . يخاطب امه » انت ايتها البشعاء المترهلة . تحدثي اين يختبىء زوجك ؟ تحدثي والا فسوف اذبح صغيرك فوق فخذيك . « يخرج المدية ويضعها فوق عنق الصغير » .

الام : انه هناك ..

القائد : « محنقا » .. أين ؟ .. أين ؟ .. ان هناك لا تكفي . « يمرر المدية فوق عنق الصغير » .

الام : « مفجوعة » دع صغيري وسوف اخبرك .

القائد : تكلمي ..

الام : ستجدونه هناك ..

القائد : لا تقولي هناك . انك تحرقين اعصابي . ألم تتعلمن غير هناك هذه ؟..

الصغير : « مفرغرا » اسكتي .. اسكتي يا اماه !

الام : بلى ... في المعقل الحصين .

القائد : « مبتهجا » نعم يا سيدتي .. حسنا جدا .. المعقل الحصين وبعد ؟ استمري ..

الام : انه مكان كان مهجورا ثم اصبح معقلا وملجأ لابناء الحياة .

القائد : « متعجبا » أبناء الحياة ! ! ما معنى هذا ؟!

الام : معناه ان رجالنا الخارجين عن القانون كما تسمونهم قد سئموا العيش تحت ظلكم وصمموا على استعادة حقهم في الحياة الطليقة ...

القائد : من اين جاءتكم هذه الالفاظ ايها الاغبياء . انها لم تكن موجودة في قاموس حياتكم . واخيرا ألا تريدين الاعتراف « يشد الخناق على الصغير فتند عنه غرغره محزنة »

الام : لقد نفضت في أذنيك كل ما اعرف . وما عليك الا ان تسلك هذه الطريق الصاعدة الى اعلى .. ستجدونهم هناك ينتظرون .. ألم تفهم بعد ؟ ..

القائد : بلى يا سيدتي لقد فهمت كل شيء .. كأني بك تريدين ان تدفعيني الى ملاقاة حتفي .. فاليك هذا اذن « يذبح الطفل ويلقيه بين أحضانها »

الام : « ترفع الصغير الى صدرها وتقبله » آه يا كبدي .. ان جيلنا جيل الفداء . الحمدلله .

القائد : لقد جدت لديكم كلمات كثيرة ومفهومات املاها عليكم الفناء الذي تطمحون اليه .

الام : مرحبا بالفناء ان كان لا بد منه في سبيل الوطن ..

القائد : « للجنود » لم اعد اطيق . خذوهن . أعيدوهن الى حيث كن.. « يقتاد الجنود النسوة .. ينصرف القائد الى خيمته . بعد قليل تسمع طلقات نارية ترافقها قهقهات مستهترة » ..

القائد : « محدثا نفسه » اننا رسل حرية .. ولكن من يطالبنا بالحرية كمن يطالبنا بالموت .. بالابادة والفناء .

« ختام »

جامعة فيينا — **ابو العيد قاسم دودو**

قضايا الفكر المعاصر

سلسلة كتب تتناول اهم القضايا الفكرية التي تشغل المثقفين اليوم ، مع دراسة وافية لاعلامها وممثليها العالميين

صدر منها

١ ـ سارتر والوجودية

تأليف ر.م. البيريس ترجمة الدكتور سهيل ادريس

٢ ـ كامو والتمرد

تأليف روبير دولوبيه ترجمة الدكتور سهيل ادريس

تطلب من دار العلم للملايين
ودار الآداب ـ بيروت